عرفت هؤلاء

بقلم :
انور السادات

كان مصريا لحما ودما .. كل خصائص الانسان المصرى عاشت فيه .. شهامة المصرى .. انسانيته .. سعيه الى الكمال بالعلم والاطلاع .. ذكاؤه كان حادا .. وروحه كانت تتحلى بالايمان والثقة بالنفس .. هكذا كان المشير احمد بدوى مثالا للجندى المصرى الأصيل .. الذى حولته ملحمة اكتوبر الخالدة الى مثال رائع للقائد المصرى فى اعنف لحظات التاريخ ..

المشير أحمد بدوى

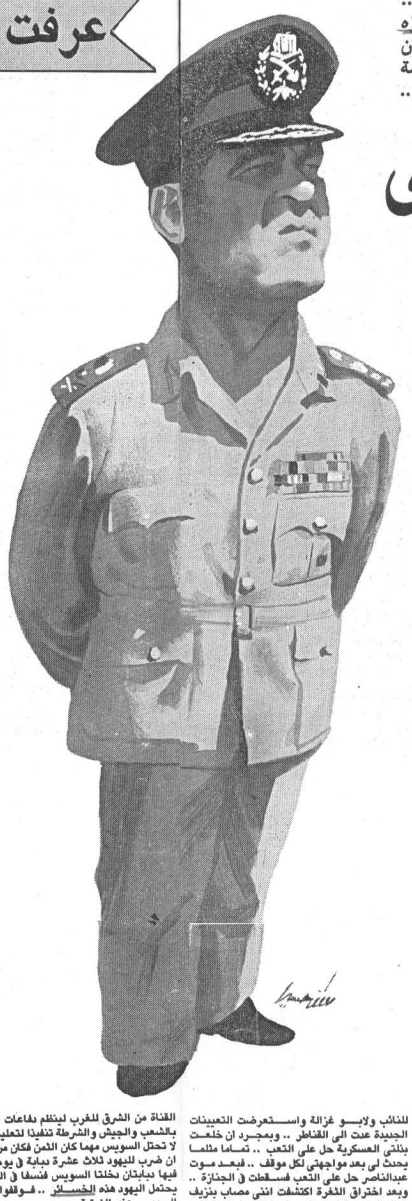

قبل

وقد اراد حسنى مبارك ان يخفف على وقع الحادث لانه يعرف مدى حبى واعزازى وتقتى بقادة القوات المسلحة فهم ابناء اعزاء جدا .. اكثر عزة عندى من ابنائى .. لانهم مستعدون باستمرار ودائما للموت فى اية لحظة عندما اصدر لهم القرار وينفذونه دون مناقشة مثلما حدث فى حرب اكتوبر .. فقرر ان يبلغه لى بالتدريج ..

الا انى قلت له : « يا حسنى فيه حاجة حصلت .. فقد شعرت من اول المكالمة بشىء جلل قد وقع .. لكنه قال ان التفاصيل لم تصله بعد على الرغم من ان التفاصيل كلها كانت امامه ..

وبعد قليل .. اتصل النائب بى مرة ثانية وابلغنى ان بدوى توفى ـ الله يرحمه ـ ومعه بعض القادة وكانوا فى طائرة واحدة .

فقلت له : كيف ركب القادة طائرة واحدة والاوامر الموجودة والخاصة بامن القادة انهم لا يركبون طائرة واحدة ، وقد اصدرت انت هذه الاوامر عندما كنت قائدا لسلاح الطيران ؟ .. وكيف وقع الحادث ؟ .. وما هو نوع الطائرة ؟ ..

اجاب النائب : لا اعرف السبب فى ركوبهم كلهم طائرة واحدة .. وكذلك لا اعرف عددهم .. فانا متصل الآن بسيوة لاعرف بقية التفاصيل اما الطائرة فهى هليكوبتر كومانـدو .

كان من الواضح ان النائب يعرف كل التفاصيل ولكنه اراد ان يخفف وقع الحادث بإعطائى التفاصيل بالتدريج .. ولكننى استغربت عندما قال لى ان الطائرة كومانـدو .. لان الكومانـدو مؤهلة بموتورين رولزرويس وفيها امان كامل .. وقوية جدا لدرجة انه اذا وقف موتور تنتقل قوته اوتوماتيكيا للموتور الثانى ويلوم بعمل الموتورين معا ..

وفى المرة الثالثة .. قال لى حسنى مبارك التفاصيل الكاملة عن الحادث .. وعرفت ان الطائرة من طراز « مى/٨ » الروسية .. وهذه الطائرة من خصائصها البليدة ان موتوراتها ضعيفة جدا ولا تقارن بموتورات الكومانـدو .. والكارثة ان خزاناتها الاضافية داخل الطائرة .. وانا كنت اركب تلك الطائرة لأمر بها على القوات .. وكنت اجلس بجانب خزان البنزين بالداخل .. وهذه عملية خطيرة جدا ! ..

سألت النائب : لماذا لم يركب بدوى ورفاقه طائرة الكومانـدو وهى طائرة الامان بدلا من الـ مى ٨ ؟ ..

أجاب : انني اتصلت فعلا بشبانة قائد سلاح الطيران وسألته لماذا سمح بهذا ؟ .. فابلغنى انه طلب من القائد العام احمد بدوى الانتظار وعدم ترك سيوة الا بعد وصول الكومانـدو حسب التعليمات الا ان بدوى قال له بالحرف الواحد : « لماذا هذا التبذير ؟ ! لا داعى للاسراف عندنا هنا الـ مى ٨ توصلنا » ..

وكان هناك طائرتان وكان من الواجب ان يقسموا انفسهم على الطائرتين .. لكن القادة الذين قضوا مع بدوى يوما كاملا وقد كان انسانا بحق أرادوا أن يركبوا كلهم معه على الرغم من التعليمات .

وعلى الفور واجهت الموقف بما يناسبه من اجراءات وقد واجهت تلك المواقف ثلاث مرات من قبل : الموقف الاول عندما مات عبدالناصر وطلبونى فذهبت الى منزله فوجدته انه قد مات منذ ساعتين .. وكان لابد فورا من مواجهة الموقف .. الموقف الثانى كان الاختراق الذى حدث بعد وقف اطلاق النار .. فالثغرة لم تكن حدثا بالنسبة لى .. لكن الاختراق الذى حدث بعد وقف اطلاق النار .. المغرب .. وبعد انتهاء عملى المكتبى واثناء انشغالى بقراءة التقارير .. وفى نفس الوقت عقلى يفكر فى امور اخرى كثيرة .. فلست مثل اى انسان فى الدولة .. فانا اعمل وعقلى يفكر طوال الساعات الـ ٢٤ .. فوجئت بالنائب يتصل بالتليفون ويقول لى :

« لقد وقع حادث لاحمد بدوى وبعض زملائه فى سيوة » ..

لذلك واجهت الموقف كعـادتى .. وطلبت من حسنى ان يتخذ كافة الترتيبات .. وقلت له : « الجنازة تكون غدا بكل التكريم العسكرى الواجب وتسهر بنفسك .. ابوغزالة يعود فورا من باريس » ..

وقال لى النائب : « انا اتصلت بالفعل بابوغزالة بباريس واذا اقتضى الأمر فسوف ارسل له طائرة من هنا » ..

والذى يجب ان يعرفه الناس ان منصب القائد العام للقوات المسلحة مثله مثل رئيس الجمهورية لا يجب ان يخلو منصبه لحظة .. لانه قد يكون فى هذه اللحظة قرار .. لدرجة ان نيكسون اثناء زيارته لمصر قاموا بتركيب تليفون مباشر له فى العربة التى استقلها من الهرم الى قصر عابدين .. وتليفون فى القطار .. وفى الطائرة الهليكوبتر ليتصل مباشرة بالبنتاجون اذا حدث شىء ..

نفس الشىء بالنسبة للقوات المسلحة .. فلا يجب ان يغيب القائد العام لحظة .. فعندما قالت وزير الحربية فى عام ١٩٧٢ وقبل ان يبلغ سكرتيرى الوزير بالقائه كان عندى فى المنزل رئيس الاركان بالنيابة وخولته سلطة القائد العام بالنيابة حتى الساعة ٨ مساء الى ان يصل الوزير الجديد وقد كان المرحوم احمد اسماعيل ..

نفس الشىء جرى لابوغزالة .. فبمجرد وصوله قدم نفسه مباشرة الى نائب رئيس الجمهورية الذى اخطره بتعيينه قائدا عاما بالنيابة الى ان تصدر التشكيلات الجديدة وبذلك امتلأ الفراغ ..

وقد عم البلد حزن شديد على وفاة احمد بدوى ورفاقه .. كما عم عائلتى اذا بالذات حزن كبير .. لان زوجتى تعرف هؤلاء القادة جميعا منذ ايام حرب اكتوبر لانها كانت موجودة فى المستشفيات ورئيس الأركان الجديد كان من المصابين وهو عبدرب النبى .

وقد طلب منى اولادى ان امتنع عن ركوب الهليكوبتر .. ولكننى فى يوم الجنازة .. طلبت الهليكوبتر وركبتها فعلا .. لانه اذا وقع حادث تلغى كل الاسلحة التى نملكها .. ان حوادث العربات اكثر من حوادث الطائرات .. ومن ناحية اخرى .. انه قضاء الله وقدره ..

واجهنا الموقف .. مثلما حدث عند اختراق اليهود بعد وقف اطلاق النار .. واجهته بما يقتضى الموقف واعطيت تعليماتى للنائب من اجل القادة الجدد .. ومنهم من غير مصير المعركة مثل عبدالحليم الذى تولى بالامس قيادة الجيش الثانى كان اثناء معركة اكتوبر يقود الفرقة التى عبرت عند راس العش وكانت هذه النقطة اقوى نقاط خط بارليف . كان يتتبع المعركة وهو فى الغرب باللاسلكى مع الضباط الذين عبروا وعندما وجد ان المعركة متأرجحة فوجه ضباطه بالذهاب الى عبدالحليم يعبر اليهم ليغير مصير المعركة فى تلك النقطة بالذات . وكانت نقطتين .. وكما قلت كانت القوى نقاط خط بارليف .

وكذلك رئيس الأركان الجديد عبد رب النبى كان قائد فرقة من الفرق التى حققت معجزات .. ابراهيم العرابى مدير العمليات الجديد ضابط ببسالات كان قائد الفرقة ٢١ المدرعة .. قاتل فى الثغرة قتالا شرسا كذلك باقى القواد .. انهم جميعا من المحاربين .. قاتلوا فى الميدان ولم يجلسوا فى المكاتب .. وعندى وراء هذا الجيل جيل ثان وثالث .. وهذه عظمة وقوة حرب اكتوبر وقوة الجيش المصرى والقوات المسلحة المصرية .

بعد ان شيعت الجنازة واصدرت تعليماتى للنائب ولابو غزالة واستعرضت التعيينات الجديدة عند الى القناطر .. وبمجرد ان خلعت بذلتى العسكرية حل على الشعب .. تماما مثلما يحدث لى بعد مواجهتى لكل موقف .. فبعد موت عبدالناصر حل على الشعب فسلقات فى الجنازة .. وبعد اختراق الثغرة اكتشفت اننى مصاب بنزيف فى البول نتيجة الارهاق .. اما فى هذه المرة فقد رفض عقلى ان يفكر وان يعمل .. كما اعتدت ان يعمل طوال الاربع والعشرين ساعة فى اليوم .. فجلست اتذكر الله يرحمه بدوى ..

بدوى من دفعة ١٩٤٤ الشهيرة التى كان من ضمنها شمس بدران الذى كان مديرا لمكتب المشير عامر وكانوا فى وقت من الأوقات فى اماكن حساسة فى القوات المسلحة لهما وقع الصراع بين الاثنين وخاصة بعد هزيمة يونيو .. احتفظ عبدالناصر منهم وسرح اغلب هذه الدفعة .. جزء منهم ذهب الى المعتقلات وجزء عاد الى منزله ..

وعندما توليت قالوا لى ان ضباط ٤٨ من اكفأ الضباط الموجودين عندنا .. فاعطيت امرا برجوعهم الى الخدمة ومنهم بدوى ..

وقد ظهر بدوى فى عملية الجيش الثالث عندما عبر الجيش من السويس الى سيناء .. عبرت فرقتان : الاولى بقيادة احمد بدوى والثانية بقيادة يوسف عفيفى وهو محافظ البحر الاحمر الآن ..

وبعد ان وقعت الثغرة تم الاختراق بعد وقف اطلاق النار اصبحت قوات الجيش الثانى من شمال الدفرسوار متصلة بقياداتها فى الغرب .. لكن قوات الفرقتين للجيش الثالث انقطع اتصالهم بالسويس ، قاعدتهم .. واصبح مطلوب لهم تموين .. المياه والطعام والذخيرة والبنزين .. لان ذلك امر حيوى الاولى لاعاشة الانسان والاخرى ليضرب الأعداء ويحافظ على جنوده وسلاحه ..

تصرف بدوى فى مسألة الطعام وخفض فى استهلاك المؤن الموجودة عنده ليكفى اطول وقت ممكن والبنزين نفس الشىء .. الى ان جاء كيسنجر واتفقنا على النقاط الست والتى بمقتضاها فتحت طريق التموين لاحمد بدوى ..

ولكن انسار الاسرائيليون صعوبات كثيرة كعادتهم واثيرت مناقشات فى البرلمان الاسرائيلى يريدون ان ياخذوا بثارهم .. وطالبوا بالقضاء على الفرقتين .. وهم لا يعرفون الموقف عسكريا . لانهم لو حاولوا القيام بشىء لكنت قضيت على كل الموجودين عندى فى الثغرة .. ولن تأخذ تصفية الثغرة أكثر من ساعة ..

وقد فشلت هذه المعركة التليفزيونية عندما وجدوا لاول مرة رئيسا او قائدا عربيا لا يشار تفكيره امامهم من التحركات التى يقومون بها .. مثلما شل تفكير سعد الشاذلى وطالب بسحب كل القوات من الشرق .. !! وكان هذا هو ما يعتمدون عليه ان يشلوا عقل من امامهم بحركة وياخذوا انتصارا « بارد » بدون ثمن وبدون معنى ..

وعندما اضطر الاسرائيليون الى الموافقة على النقاط الست لوجود اسرى لهم عندنا ولاول مرة فى تاريخ اسرائيل تقف العائلات امام وزارة الدفاع .. فلم يحدث لهم من قبل ان يكون لهم اسرى ومفقودون ، وحتى الآن لا يزال لهم مفقودين ، فاضطروا الى فتح طريق الامداد .. ولكنهم كانوا يضايقون احمد بدوى .. ويحاولون تأجيل مرور المؤن ..

وأذكر لاحمد بدوى مواقفين : الأول قبل تثبيت الوضع واثناء الاختراق كان يدير المعركة فى الشرق والغرب سباحة فى القناة .. يحضر سابحا فى القناة من الشرق الى القناطر ويعود سباحة ..

اخذ اكثر من كيلو ونصف من جميع الاتجاهات بعد خطوط وقف اطلاق النار ..

وهناك ايضا نقطة كبريت وهى احدى نقاط خط بارليف الحصينة .. فقد اخذنا هذه النقطة فور مهاجمتها .. ولكن بعد الاختراق والمعركة التليفزيونية حاول اليهود اخذها لمدة ثلاثة اشهر بدون فائدة .. ولم يستطيعوا اخذها على الرغم من بعد الجيش الثالث عنها .. ومحاصرتها ومنع الامداد والتموين عنها .. هذا هو مجد وخلود بدوى والجيش الثالث والجيش المصرى كله ..

لكن .. لماذا بكى احمد بدوى وهو وسط كل هذا المجد ؟ ! ..

فى احدى الليالى فتح بدوى الراديو وسمع اذاعة قوية تدعى ان الهزيمة قد حلت بالقوات .. وتطالب الجيش الثالث المحاصر بالثورة والثار .. وكان يجلس مع زملائه الضباط والجنود يضحك معا سمعه قائلا : « هؤلاء اليهود خيالهم واسع جدا .. عاوزين كمان نثور .. معاله اذا كانوا قد عبروا بالفعل محافظة للسويس واعلنوا اسمه على الرغم انه لم يدخلها » ..

واذا به يسمع فى نهاية الاذاعة كلمة « هنا راديو ليبيا » .. وهنا كانت المرة الوحيدة التى بكى فيها احمد بدوى فهو قد توقع ان يقال هذا الكلام من العدو اما ان يقوله عرب .. واشقاء .. فهذا شىء لا يحتمل .. فبكى ..

ويوم ان زاره وزير كويتى بعد المعركة فى قيادة الجيش الثالث ظن بدوى انه ليبى .. وكانت تحدث ازمة لانه عند الرجل على تلك الاذاعة واوشك الوزير الكويتى على الانسحاب احتجاجا على هذا التعنيف لولا ان نبه مرافق الوزير الكويتى الى ان بدوى ليس من الوزير كويتى وليس ليبيا .. واعتذر بدوى وسوى الموضوع .

واستشهاد احمد بدوى ورفاقه يحرك عندى نكريات كثيرة ..

انكر ان ابنتى ليلى كانت مخطوبة ونحن فى سبيل زواجها وكان الموعد المحدد للزواج شهر يناير ٧٤ وكنت قد اضطررت الى وعدها من قبل فى شهر اكتوبر ان تتزوج فى شهر نوفمبر ٧٣ !! .. قبل ان انتقل الى قصر الطاهرة بيومين للاشراف على المعركة من هناك !!

فانا فى حياتى افصل تماما بين البيت والعمل .. وبعد المعركة جاءت ابنتى لبنى تقول لماذا يا ابى لم تقل لى وعشمتنى ؟ ! فقلت لها : كيف القول لك هذا الكلام ؟ !

المهم .. حدثنا يناير .. وقالت لى لبنى : اخر كلام فقلت لها : نعم . اخر كلام لكن لابد ان يحضر احمد بدوى الفرح .. وكان هذا معناه اننى يجب ان اصفى الثغرة اولا ..

وفعلا جاء اليوم الذى حددنا فيه الفرح وكان باقيا ثلاثة ايام حتى تعبر قوات الجيش الثالث الى الغرب نتيجة للاوضاع الجديدة لان اليهود خرجوا من الغرب تماما .. وفض الاشتباك حدد .. واحمد بدوى اخذ من الارض كيلو ونصفا زيادة فى كل اتجاه ..

فقلت لكيسنجر : قل لجولدا مائير وديان انني اجلت فرح ابنتى مرتين وضحكت عليهما .. هذه المرة لا أريد ان اضحك عليهما .. وانا قلت احمد بدوى لابد ان يحضر الفرح لذلك يجب ان تتم المرحلة الباقية من فض الاشتباك قبل موعدها ..

وذهب كيسنجر الى اسرائيل وقال لهم هذا الكلام .. وفعلا عجلوا بالانسحاب فى مرحلة من المراحل حتى يحضر بدوى الفرح ..

ولكن .. عندما بعثت لاحمد بسوى ادعوه لحضور الفرح بوصفه ممثلا للجيش الثالث كله .. وللدور البطولى الخارق الذى قام به .. رد على بكل بساطة « كان يسعدنى .. ولكن لابد ان انظم عودة جنودى واجازاتهم اولا ليطمئن اهاليهم ثم احضر انا » ولم يحضر بدوى الفرح لانه كان يطمئن على ذهاب جنوده الى اهاليهم بالاجازات والعودة لعمل ما يسمى باعادة التنظيم ..

هذا هو احمد بدوى .. القائد .. والانسان .. المصرى لحما ودما ..

القناة من الشرق للغرب لينظم دفاعات السويس بالشعب والجيش والشرطة تنفيذا لتعليماتى بان لا تحتل السويس مهما كان الثمن فكان من شأن ذلك ان ضرب لليهود ثلاث عشرة بناية فى يوم واحد بما فيها بنايتان دخلتا السويس فنسفا فى الشارع ولم يحتمل اليهود هذه الخسائر .. فوقفوا بعيدا عن السويس عند الزيتية ..

وكان بدوى يعود فى النهار الى الشرق مع قواته ويقضى بعض الليل فى السويس لتنظيم دفاعاتها ..

الموقف الثانى ليبدو .. انه بعد ان حاول الاسرائيليون مضايقة قواتنا واثارة العقبات واثارة اعصاب بدوى فى محاولة تجويع افراد فرقتى الجيش الثالث المصرى فى الشرق وكان عددهم حوالى ٥٠ الف جندى .. بدات اتشغل على اولادى هناك ولكننى فوجئت بالبلاغات الاسرائيلية تقول ان بدوى يقوم بمناورات بالدبابات طوال النهار واخذ يخرق وقف اطلاق النار وحرك قواته المفروض انها محصورة فى اتجاه عيون موسى .

وسألت : كيف يصنع بدوى هذا والعملية تحتاج الى زيت وبنزين وسولار وشحوم وذخيرة ؟ ! هذا غير الاكل والمياه ؟ !

وعرفت بعد ذلك ان قواتنا من الجيش الثالث عندما عبرت الى الشرق استولت على موقع من مواقع خط بارليف وجدت به ضمن ما وجدت خزانا تحت الأرض مملوءا بالبترول وقد تركه الاسرائيليون الذين هربوا بالبيجامات .. وقد اتى اليهود بعد ذلك لتدمير هذا الموقع .. ولكن بدوى سبق ووضع دفاعا جويا حوله .. وقد وفر المخزن الزيت والبنزين ..

لكن هذا البنزين لا يصلح لتسيير الدبابات لاننا اذا وضعنا البنزين فى الدبابة تنفجر .. لانها تستعمل السولار .. وقد حل بدوى هذه المشكلة بان عقد اجتماعا مع مهندسى الميدان ورجال الدبابات فى قواته وطلب اليهم ايجاد حل لتحويل البنزين الى وقود ثقيل يصلح للدبابات وفعلا تمكنوا من ذلك بعد اجراء عدة تجارب لتحقيق ما طلبه بدوى باضافة نسبة من زيوت التشحيم الى البنزين فاصبح وقودا ثقيلا وظلت بدبابات بدوى تجرى تدريباتها كل يوم تحت سمع وبصر ودهشة الاسرائيليين وتوسع من خطوطها بالضغط على الاسرائيليين امامهم . وكانت دهشتى انا اعظم لان بدوى لم يخطرنى بهذه التفاصيل فى التمام اليومى الذى يرسله للقيادة بالاسلكى ..

وحل بدوى ايضا مشكلة المياه .. بان امر بحفر الآبار .. وفعلا وجد مياها صالحة للشرب وبكميات كافية علاوة على استيلائه اثناء الحصار على عيون موسى ..

وانكر مرة ان الاسرائيليين ذهبوا اليه ليسلموه المياه .. هو فى الضفة الشرقية .. وهم على الضفة الغربية .. فضايقوه فى الكلام واتوا معهم بمراسلين اجانب لكى يصوروا تسلم بدوى للمياه .. فما كان منه الا ان امسك بصفيحة المياه وسكبها امامهم وامام المراسلين الاجانب واذهل بدوى الجميع .. فلم يكن يعلم الاسرائيليون ولا المراسلون الاجانب ولا نحن ان لديه احتياطى مياه من عيون موسى والآبار التى حفرها ..

ورقيته الى رتبة اللواء وعينته قائدا للجيش الثالث .

وهكذا كان عند بدوى الفرصة لعمل مناورات وارعب اليهود من الضرب اليومى وكانه فى ميدان التدريب بالعباسية وعند فض الاشتباك اتضح انه

■